

# مجالس في تدبر القرآن | (710) قوله تعالى يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم..

خالد السبت

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله اما بعد فسلام الله عليكم ورحمته وبركاته نواصل الحديث ايها الاحبة فيما يستخرج من الفوائد والهدايات من هذه السورة الكريمة سورة البقرة فبعد ان ذكر الله تبارك وتعالى - [00:00:01](#) الطوائف الثلاث اهل الايمان والكفار واهل النفاق وجه الخطاب بعد ذلك الى عموم الخلق فقال يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون الذي جعل لكم الارض فراشا - [00:00:27](#) والسماء بناء وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله اندادا وانتم تعلمون يا ايها الناس اعبدوا ربكم هذا نداء من الله تبارك وتعالى لجميع - [00:00:50](#) الخلق لجميع البشر يأمرهم بعبادة الله وحده دون ما سواه يعبدونه لانه هو الرب الذي يستحق العبادة فهو الذي رباهم بالنعم الظاهرة والباطنة خلقهم وخلق الذين من قبلهم اوجدهم من العدم - [00:01:07](#) فلا تجعلوا خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون اي من اجل ان تكونوا من المتقين من الاتقياء فيؤخذ من هذه الاية ايها الاحبة لهذا الخطاب الذي هو اول امر في المصحف - [00:01:33](#) اول امر امر الله تبارك وتعالى به عباده في المصحف هو هذا اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم. فهو الامر بعبادة الله تبارك وتعالى وحده وهذا اول نداء بالمصحف - [00:01:55](#) يوجه الى الناس جميعا كل ذلك بشأن هذا الموضوع الكبير والامر العظيم الذي من اجله خلقت الخليقة الذي من اجله خلق الله عز وجل الانس والجن وهو عبادة الله وحده لا شريك له - [00:02:18](#) وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ما اريد منهم من رزق وما اريد ان يطعمون ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين فخلقهم من اجل هذا من اجل عبادته وحده فهذا اول نداء يوجه اليهم - [00:02:47](#) ان يعبدوه وعلل هذا بكونه تبارك وتعالى هو الخالق الذي اوجدهم من العدم ولهذا فان ذلك يكون كالتعليل للامر بعبادته فان العبادة انما تكون لمن خلق ولهذا يقول الله تبارك وتعالى واتخذوا من دونه الهة - [00:03:14](#) لا يخلقون شيئا وهم يخلقون كيف اتخذوهم الهة وهم لا يخلقون شيئا بل هم يخلقون وهكذا في قوله ايشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون كيف يقع منهم ذلك فهذا - [00:03:47](#) كله ايها الاحبة كالتعليل للامر بعبادته ان الذي خلق هو الذي يستحق ان يعبد وحده فتوجيه العبادة الى غيره يكون من اعظم الظلم وحقيقة الظلم هو وضع الشيء في غير - [00:04:10](#) موضعه فمن وضع العبادة في غير من خلق فهو ظالم ولهذا قال الله تبارك وتعالى ان الشرك لظلم عظيم ومن هنا ايضا يؤخذ من ذلك ان توحيد الربوبية مستلزم لتوحيد العبادة لتوحيد الالهية - [00:04:30](#) فذكر الرب هنا يدل على الربوبية الذي خلقكم فالذي خلقكم ينبغي ان يكون هو المعبود دون من سواه فتوحيد الربوبية اذا كنت تقر انه هو الخالق وحده والرازق وحده والنافع والضرار وما الى ذلك اذا - [00:04:54](#) فلماذا تتوجه الى غيره لماذا تعبد غيره. لماذا تسأل غيره فينبغي ان يكون التوجه اليه وحده دون ما سواه اعبدوا ربكم الذي خلقكم

والذين من قبلكم ولاحظ هنا ايضا انه - [00:05:14](#)

بعد ان ذكر الطوائف الثلاث ذكر ذلك على سبيل الغيبة هدى للمتقين من هم هم الذين يؤمنون بالغيبة ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون والذين يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك وبالاخرة هم يوقنون - [00:05:39](#)

اولئك اي هم على هدى من ربهم واولئك هم المفلحون ثم قال الله تبارك وتعالى ايضا على سبيل الغيبة ان الذين كفروا سواء عليهم انذرتهم ام لم تنذرهم لا يؤمنون - [00:06:04](#)

ختم الله على قلوبهم الى اخر ما ذكر في اوصافهم. ثم ذكر اهل النفاق ومن الناس من يقول امنا يعني يقول هو امنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين. كل ذلك على سبيل - [00:06:22](#)

الغيبة ثم بعد ذلك جاء الالتفات هذا يسمونه الالتفات يعني حول الخطاب من الغيبة الى المخاطب كما ذكرنا في الفاتحة الحمد لله هذا للغيبة رب يعني هو رب العالمين هو الرحمن الرحيم. هو مالك يوم الدين - [00:06:37](#)

فلما اثنى عليه حمده واثنى عليه ومجده كانه قد صار في حال من القرب. فوجه الخطاب اليه اياك نعبد واياك نستعين ما قال اياه نعبد واياه نستعين. هذا يسمونه الالتفات في علم البلاغة. محول - [00:06:58](#)

الخطاب من غائب الى مخاطب والعكس او من جمع الى مفرد والعكس الى غير ذلك من صنوف وصور الالتفات فهو لا يختص بهذه الامثلة التي ذكرتها فهذا الالتفات ايها الاحبة - [00:07:22](#)

ففيه تنوع الخطاب وتنشيط السامع حينما يصرف الخطاب بهذا التصريف فتأهل نفس المخاطب للقبول وفي الانتقال هنا من الغيبة الى الخطاب ايضا فيه ما فيه من حصول الشرف المخاطبة الذي يخاطبه وربّه تبارك وتعالى. يا ايها الناس - [00:07:43](#)

اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم اتقون ويذكر لهم الدلائل الموجبة لهذا المطلوب وهو عبادته وحده لا شريك له كل ذلك يدل على ان العبد اذا كان مشتغلا - [00:08:10](#)

هذه العبودية فانه يكون في حال من الترقى اخذا من توجيه الخطاب اليه وكذلك ايضا في هذا ما فيه من الاهتمام بشأن العبادة وتفخيم شأن هذه فهذا يؤخذ من هذا - [00:08:33](#)

الموضع. وهكذا في قوله تبارك وتعالى يا ايها الناس اعبدوا ربكم لاحظ انه اضاف الرب هنا الى المخاطبين. اعبدوا ربكم فهذا يدل على التفخيم والتعظيم لتأكيد موجب الامر بالاشعار كما سبق - [00:08:53](#)

بان ذلك يكون علة للامر بعبادته وحده ومن يتصف بهذه الصفات صفات الربوبية او الذي يستحق وحده العبادة يا ايها الناس اعبدوا ربكم. وقوله اعبدوا ربكم هذا امر والامر للوجوب - [00:09:15](#)

وعبادة الله تبارك وتعالى واجبة ويدخل في قوله اعبدوا ربكم يدخل فيه الايمان بالله فهو اجل عبادة واصله يكون في القلب كما ان هذا الايمان اذا استقر في القلب وثبت - [00:09:38](#)

فانه ينطق اللسان بالشهادتين وهكذا تعمل الجوارح بطاعة الله تبارك وتعالى وكل ذلك ايمان فالايمان اعتقاد بالجنان وتصديق باللسان وعمل بالاركان فيدخل في قوله اعبدوا ربكم الايمان به جل جلاله - [00:09:59](#)

يدخل به التوحيد فهو اعظم الواجبات واهم المهمات واجل المطالب كما هو معلوم ويدخل في ذلك ايضا سائر الطاعات فالايمان كما قال النبي صلى الله عليه وسلم بضع وستون وفي رواية بضع وسبعون شعبة - [00:10:24](#)

اعلاها شهادة ان لا اله الا الله وادناها امانة الاذى عن الطريق فهنا ما بين شهادة ان لا اله الا الله الى امانة الاذى كل ذلك من شعب الايمان فهو داخل في قوله اعبدوا ربكم - [00:10:50](#)

اعبده بقلوبكم فيدخل في ذلك جميع اعمال القلوب اعمال القلوب من الخوف والرجاء والتوكل والمحبة والاناة والمراقبة لله عز وجل وما الى ذلك ويدخل فيه اعمال الجوارح ايضا من صلاة - [00:11:08](#)

وامر بمعروف ونهي عن منكر الى غير هذا ويدخل فيه ايضا اقوال اللسان فالتلاوة والذكر وما اشبه ذلك كله من اعمال اللسان فهذا كله داخل في هذا والعبادة منقسمة على هذه - [00:11:28](#)

الثلاث القلب واللسان والجوارح لا يخرج عن ذلك شيء ثم ايضا تأملوا هذا الخطاب وما ذكر فيه مما سمعتم انفا يا ايها الناس اعبدوا ربكم اذا كان هذا اول امر - [00:11:52](#)

هذه هي دعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام هذا هو مسلك الانبياء والمرسلين منذ ان بعث الله تبارك وتعالى وارسل نوحا فهو اول رسول الى اهل الارض الى خاتمهم محمد صلى الله عليه - [00:12:12](#)

وسلم كانوا على هذا المهياً على هذا الطريق في دعوتهم يدعون الى عبادة الله تبارك وتعالى كل نبي كان يخاطب قومه اعبدوا الله ما لكم من اله غيره فهذا اول دعوة - [00:12:34](#)

الرسول التوحيد وهذا الذي حصل به الفرقان بين اولياء الله واولياء الشيطان هذا الذي حصل به الفرق بين الرسل واعدائهم اجعل الالهة الها واحدا ان هذا لشيء عجاب فانكروا ذلك غاية الانكار ونفروا منه غاية النفور - [00:12:52](#)

ولو انه جاءهم ودعاهم الى اقتصر على مكارم الاخلاق ومحاسن العادات وما يكون به كمال المروءات لقبولوا ذلك ومثل هذه الدعوة يمكن ان تعرض على جميع الامم فلا يردها احد - [00:13:17](#)

في اقل الاحوال من الجانب من الناحية النظرية يقبلها الجميع. تعرض ذلك على اليهود وعلى الوثنيين وعلى النصرى وعلى المجوس اقول لهم نحن ندعوكم الى الصدق والامانة وندعوكم الى حسن الخلق والوفاء بالعهد - [00:13:36](#)

والبر والصلة فكلهم يقبل ذلك ويرحب به ولن تجد لك اعداء بهذا السبيل ولذلك اقول ايها الاحبة كما ذكرت في بعض المناسبات بان هذا المسلك في الدعوة الى الله في هذه - [00:13:54](#)

الان الطرح الجديد ما يسمى بالدعوة الى القيم القيم هذه القيم لا وجود لهذا الاستعمال لهذا اللفظ او هذا المصطلح لا في القرآن ولا في السنة ولا في اقوال السلف ولا في اقوال اهل العلم ولا في القواميس العربية لا يوجد - [00:14:13](#)

كلمة القيم بهذا المعنى انما هو لفظ مولد محدث فلا يصح ان يجعل ذلك هو محور الدعوة ومنطلق الدعوة فهذه لربما تكون اشياء جميلة ويذكر فيها تقسيمات واشياء وخطط وبرامج وتطوير ومهارات ودورات ولن تجد - [00:14:31](#)

من يعارض ذلك فالكل يرحب به سيأتيك صنوف الناس من اهل الديانات والملل والمذاهب كلهم يقول نريد ان تقيم هذه الدورة عندنا هذا الكلام الجميل وهذا الكلام سيقبلونه جميعا ولكن الرسل عليهم الصلاة والسلام جاءوا بالتوحيد اعبدوا الله ما لكم من اله غيره - [00:14:51](#)

ولذلك لاحظوا اول امر بالقرآن هو هذا فقال يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون ثم تتفرع عن ذلك الاشياء الاخرى كما في قوله تبارك وتعالى مثلا - [00:15:15](#)

في الوصايا في سورة الاسراء وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا فذكر البر ثم ذكر الصلة بالقربان ثم ذكر بعد ذلك الاحسان في وجوهه المختلفة ونهى عن دروب الفساد وصنوفه - [00:15:31](#)

كل هذا وحفظ مال اليتيم وايفاء المكايل والموازين والتواضع في المشية كل هذا ذكره بعد ان ذكر هذا الاصل فهي متفرعة عنه. وهكذا الوصايا التي في سورة الانعام المحكمات. فان الله تبارك وتعالى - [00:15:50](#)

قال فيها قل تعالوا اتلوا ما حرم ربكم عليكم. الا تشركوا بي. يعني لاحظوا هنا في هذه السورة سورة الانعام هي سورة مكية. قل تعالوا اتل ما حرم ربكم عليكم الا تشركوا به شيئا. فبدأهم بهذه القضية - [00:16:08](#)

فهذا هو الاصل وهذا هو المنطلق فيجب ان تكون الدعوة كما دلت عليها بالنصوص وكما هو طريق الرسل عليهم الصلاة والسلام ان تبدأ الامر بتوحيد الله وعبادته ان يبدأ بالتوحيد فهو الاصل. فاذا وجد الصدق والامانة والوفاء بالعهد ونحو ذلك فانه اولا يكون منطلقا من ايمان - [00:16:26](#)

انن يراقب العبد فيه ربه. فلا يفي بالعهد اذا كان عليه الرقيب من البشر. ثم انه يحتسب ذلك عند الله فاذا لم يرى من العباد لم يرى من الناس شكرا يؤدونه اليه او نحو ذلك مما يتقاضاه منهم فانه لربما يتحول الى - [00:16:50](#)

خلاف ذلك. ثم ايضا حينما ينطلق ذلك من ايمان واعتقاد فانه ادعى للثبوت والاستمرار وهو ادعى ايضا لان يحتسب ذلك عند الله

تبارك وتعالى فلا يكون رياء ولا سمعة ولذلك انظروا الى - [00:17:11](#)

الذين يعلنون ويشيعون ويزعمون انهم اصحاب قيم ومبادئ ومثل يصدرونها للعالم من الغربيين ونحو ذلك. انظروا اذا تمكنوا كيف يفعلون؟ وانظروا ايضا الى احادهم وافرادهم في الاعم الاغلب حينما تحصل لهم الفرصة - [00:17:29](#)

ينطفئ الكهرباء في ليله لمدة نصف ساعة ما الذي يحصل؟ تصدر احصاءات بعدد الجرائم السرقة والالاغتصاب والقتل وما الى ذلك فقط حينما تنطفئ الكهرباء. يتحول المجتمع الى لصوص والى مجرمين لان عين الرقيب - [00:17:48](#) قد غابت لكن حينما تكون هذه المثل هذه التي يسمونها بالقيم نابعة من توحيد وعقيدة وايمان وعبادة لله تبارك وتعالى اين ذلك يبقى باي حال يكون عليها العبد ومن هنا اقول ايها الاحبة - [00:18:09](#)

فان المنطلق الدعوة الصحيحة ان تكون دعوتنا الى التوحيد والى عبادة الله وحده. وهذا يتفرع عنه كل الوان البر والتقوى والمعروف والخير كما قال النبي صلى الله عليه وسلم الايمان بضع وسبعون شعبة - [00:18:29](#)

فحينما نفهم الايمان بهذا الفهم ندرك ان جميع هذه الاشياء هي متفرعة من شجرة الايمان. فهي الشجرة الطيبة التي ينتج عنها الثمار الياضعة الطيبة المستلذة هذه الشجرة التي اصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي اكلها كل حين باذن ربها - [00:18:47](#)

اما اولئك الذين ليس لهم هذا الثبات ولا هذا الاصل فمثل هذه الاشياء تتفرع من ماذا؟ تتفرع من شجرة خبيثة في نفوسهم وهي شجرة الشرك بالله عز وجل فما ظنكم باخلاقهم - [00:19:10](#)

مبادئهم ان من يزرع هذه الاخلاق والمثل التي يسمونها القيم ايها الاحبة. بعيدا عن الايمان هو كمن يضع هذه الثريات التي ترونها في هذا المسجد يعلقها هنا وهناك يجمل بها سقف المسجد - [00:19:25](#)

ولكن من غير وجود تيار كهربائي تتصل به فتضئ المكان انما رأى شيئا جميلا فحاكاه لكن من غير روح هذه الروح هي الايمان ونحن ينبغي ان تكون دعوتنا على جادة صحيحة - [00:19:42](#)

نسير عليها طريق الرسل عليهم الصلاة والسلام وان يكون العلماء رحمهم الله هم الذين يقررون مثل هذه الامور ويبيّنونها ولا نندفع هنا وهناك تارة في موضة يقال لها البرمجة العصبية والدورات هذه التي ما جنت على الناس - [00:20:01](#)

خيرا ثم بعد ذلك اذا افلت جاءنا وجه جديد وان لم يكن كذلك وان لم يكن كثير نحن نقول الدعوة الى المعروف والاخلاق والبر والصلة والامانة هذا خير لكن هل هذا هو المنطلق الصحيح - [00:20:22](#)

بدعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام؟ الجواب لا. حينما نجعل هذه القضية محورية ننطلق منها ونشتغل بها وندندن حولها لا نكون منطلقين من المنطلق الذي كان عليه الرسل عليهم الصلاة والسلام - [00:20:39](#)

كانوا منه ينطلقون هذا هو المقصود والا فان الدعوة على ذلك يؤجر عليها الانسان دعوة الى ذلك الامانة والصدق والوفاء بالعهد هذا من الدين. ويؤجر عليه الانسان. لكن تجعل قوالب الدعوة في هذه الطريقة وتربية الكبار والصغار - [00:20:56](#)

على هذا بهذه الطريقة لا نحن نقول الايمان هو المنطلق نربيه على الايمان فعند ذلك تستقيم اللسان وتستقيم الجوارح وتستقيم الابصار وتستقيم الاسماع على الطاعة لله تبارك وتعالى يا ايها الناس اعبدوا - [00:21:12](#)

ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم وهذا الامر الذي هو اول امر في القرآن ايها الاحبة. يدل على ماذا يدل على ان هذه القضية الاساسية المحورية التي من اجلها وجد - [00:21:34](#)

الخلق هي التي ينبغي ان تكون العناية رقم واحد متوجهة اليها. لا كما يزعمه بعضهم يقولون ينبغي ان نعنى بعمارة الارض العناية بعمارة الارض العناية الامور الدنيوية المادية فان الله اوجدنا من اجل العمارة عمارة الارض. الله اوجدنا عمارة الارض عمارة المادية - [00:21:50](#)

الدنيوية بعيدا عن الايمان وعن عبادة الله عز وجل هذا حال من لا يعرفون الله حال الذين ذمهم الله تبارك وتعالى يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا. الله تبارك وتعالى استعمرنا في الارض من اجل ان نعملها بطاعته بالايمان - [00:22:18](#)

بان يعبد الله وحده لا شريك له وخلقنا واوجدنا من اجل ان نحقق هذا المعنى وهذا الاصل الكبير العبادة. خلقنا من اجل هذا لان

ننغمس في الدنيا. ولذلك من الخطأ ان يتحول - [00:22:40](#)

الدعاة الى الله ان يتحولوا الى موجهين للناس في امور دنياهم الدنيا لابد منها ولا يمكن ان تهمل لابد من الاخذ باسباب القوة واسباب الحضارة من العلوم المادية النافعة هذي من فروض الكفايات - [00:22:54](#)

لكن ان يتحول الاهتمام ويقال نحن ينبغي ان نعنى ونهتم واوجدنا الله من اجل العمارة الحسية المادية للارض هذا كلام غير صحيح وهو خلاف ما دل عليه القرآن القرآن دل على ان الله اوجدنا من اجل ان نعبد. لكن لابد لنا من هذه الحياة - [00:23:12](#)  
من اجل ان يكون لنا قوام من العيش فيها فعند ذلك تحصل مصالح الناس وتقوم معيشتهم وتحصل اسباب القوة المادية لهم لابد لهم من هذا ولا يقول احد بانها تهمل - [00:23:33](#)

لكن الخطأ ان تجعل هي القضية الاساس التي توجه الاهتمامات اليها كما يقوله بعضهم. هناك من يدعو الى هذا وينظر له وليس عندهم شيء يستدلون به على هذا ولو نظرت الى سائر النصوص واحوال الرسل عليهم الصلاة والسلام واذكر عبادنا ابراهيم واسحاق ويعقوب اولي الايدي والابصار. صار بماذا بالدنيا - [00:23:47](#)

انا اخلصناهم بخالصة ذكرى الدار اخرة بين اعينهم وليس الدنيا بين اعينهم. والكلام في هذا ايها الاحبة يطول ويتفرع لكن على كل حال تأملوا ايضا في هنا التقوى لعلكم تتقون. اي من اجل ان تتقوا. اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون. هذا يدل على ان - [00:24:11](#)

هذه التقوى مرتبة عالية لا يحصل عليها العبد الا اذا حقق العبودية لله تبارك وتعالى. فبقدر تحقيقه للعبودية كونوا له من تحقيق التقوى وهكذا والله تعالى اعلم نتوقف عند هذا واسأل الله عز وجل ان ينفعني واياكم بما سمعنا ويجعلنا واياكم هداة مهتدين - [00:24:38](#)

وصلى الله على نبينا محمد وعلى اله وصحبه - [00:25:01](#)